

## الحلقة (٢)

﴿ قَالَ تَعَالَى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٢١٦) ﴾

﴿ مفردات الآية:

﴿ قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ ﴾: أي فُرض، أين كتب؟ في اللوح المحفوظ وهو المراد بالمكتوب.

﴿ قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ ﴾: القتال أصل مادة قَتَلَ هو إزالة الروح كالموت، ولكن إذا وقع بفعل فاعل قتل، أي القتال في مادة قَتَلَ هذه المادة الثلاثية في الأصل أنها تأتي بمعنى إزالة الروح كالموت، ثمة تفريق، إذا وقع هذا القتل بفعل فاعل قتل، وإذا لم يكن كذلك قيل موت، فنحن نسمع هذه الشائعة على أن فلان يقال مات حتف أنفه أي مات دونما سبب مباشر، دونما فعل فاعل، وأما القتل فقُتِل فلان فلا بد أن يسبقه فعل أو سبب يتعلق بإزهاق الروح، إذاً إذا كان بدون سبب قيل موت.

ويُعبّر بالقتال عن المدافعة، ومنه حديث المار بين يدي المصلي (فليقاتله) أي فليدافعه، وهذا معنى لطيف حيث إن بعض الناس يفهم من المقاتلة هي الملاحمة فيقوم ويزعج المصلين، ويأتي بالجلبة، والحديث أمرك بالمدافعة ليس غير، ولا يرشد الحديث إلى المقاتلة، والحلم في الآونة الأخيرة يبدو أنه أصبح ضميراً مستتره، ولعل الفقهاء رحمهم الله تعالى حدوا سترة المصلي حيث يضع جبهته، فإذا الأمر يسير.

إذاً مادة قتل في الأصل إزالة الروح كالموت، وإذا وقع بفعل فاعل قيل قتل.

﴿ قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ ﴾ الكره: بضم الكاف الاسم، أي الكره الاسم، وبفتح الكاف المصدر الكره، قال الأزهري في تهذيبه وهو إمام في اللغة: (وقد أجمع كثير من أهل اللغة أن الكره والكره لغتان فبأي لغة وقع فجائز).

فالإمام أبو منصور الأزهري رحمه الله تعالى ذكر التفريق لكنه أجاز استعمال اللفظين معاً، تنمة كلام الأزهري (إلا الفراء فإنه فرق بينهما بأن الكره بالضم ما أكرهت نفسك عليه)، والفراء وهو إمام من أئمة اللغة وله كتاب "معاني القرآن" يفرق تفريقاً دقيقاً بين المعنيين فيما نقله عنه الأزهري، والأزهري أجاز بعد أن نقل عن أكثر أهل اللغة أن التفريق قد يأتي لكن إذا استعمل بالضم والفتح فجائز، أما الفراء فهو يفرق فيقول الكره بالضم ما أكرهت نفسك عليه، أي لاحظ الإمام الفراء أن الضم يعطي الإكراه معنى القسر، وبالفتح (الكره) ما أكرهك غيرك عليه، فتقول -وهذا المثال للفراء- جئتكَ كرهاً، وأدخلتني كرهاً، انتهى كلام الأزهري.

**وتفريق الفراء هذا صحيح**، فقله تعالى ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ ولم يقرأ

أحد بضم الكاف، أي جميع القراء العشرة لم يقرأ أحد منهم الآية بالضم، مع أن هناك في سورة الأحقاف ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ فُرِأت بالفتح والضم، لكن نظراً إلى أن كلام الفراء أن هذه الآية وهي توحيد الله عز وجل وتوجه الجميع إن طوعاً وإن كرهاً، فالمؤمنون طوعاً، والكافرون كرهاً على ما قيل في التفسير من أن الكافر في وقت اللجوء والشدة يلجأ إلى الله عز وجل، كما قال تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ فإذا الكافر يؤمن بالله عز وجل وقت الضرورة فإذا كلام الفراء هذا جد متجه.

﴿قوله تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا﴾: كره الشيء يكره إذا أبغضه، وأصله الأرض الغليظة الصلبة.

﴿قوله تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا﴾: أحب الشيء يحبه حباً إذا رغب فيه.

◀ مسألة: وهي من المراد بهذه الآية ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ؟

طبعاً إذا قيل: من المراد؟ وأنتم تعلمون حق اليقين أن القرآن نزل بعضه على سبب، وأما أكثره نزل بلا سبب، فطالما الأمر كذلك ما نزل بسبب فإن من نزلت بسببه الآية يقول علماء التفسير والأصول يدخل دخولاً أولياً، لأن بسببه نزلت الآية، هو أحدث شيئاً فجاءت الآية موجهة أو متحدثة عما فعله الإنسان المذكور وقت نزول القرآن، ولكن حكم الآية ينتقل إلى من بعده ممن هو آت إلى يوم القيامة، هذا محل اتفاق بين أهل العلم، أما خلافهم اللفظي عند هل الحكم نفسه هل يقف عند هذا الذي نزلت بسببه الآية أو يتعداه إلى غيره؟ هذا أمر آخر أما دخول الجميع في الآية فلا خلاف بين العلماء، فإذا من المراد بهذه الآية ؟

**اختلف أهل التفسير في المراد بالآية على قولين:**

❶ **القول الأول/** أن المراد بالآية ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ.....﴾ الآية أن المراد بهم هم أصحاب النبي ﷺ خاصة، فكان القتال مع الرسول ﷺ فرض عين عليهم، فلما استقر الشرع صار على الكفاية، وإليه ذهب عطاء والأوزاعي رحمهما الله تعالى، فإذا هذان العلمان ذهبا إلى أن هذه الآية وقت نزولها أمر الصحابة كلهم رضوان الله عليهم أجمعين أن يقاتلوا مع النبي ﷺ في أي معركة خاضها النبي ﷺ أو أمر بخوضها، فيجب أن يُعلم أن لفظ خاصة لا تعني أن حكمها انتهى بانتهاء الصحابة ذلك بموتهم رضوان الله تعالى عليهم أجمعين لا لم يريد هذا، إنما أراد أن الآية وقت نزولها أمر الصحابة بأن يقاتلوا مع النبي ﷺ ولكن بعد أن استقر الأمر للمسلمين فإن الجهاد يأخذ حكماً آخر وهو أنه فرض على الكفاية، هذا هو القول الأول، وهو ما قاله عطاء والأوزاعي رحمهما الله تعالى.

**القول الثاني /** أن الجهاد في أوله على الكفاية دون تعيين، غير أن النبي ﷺ كان إذا استنفرهم تعيين عليهم النفير ويصبح الجهاد واجب عيني عليهم لوجوب طاعته صلى الله عليه وسلم وإليه ذهب الجمهور.

وغزوة بني قريظة خير شاهد على ما نذهب إليه، فقد قال ﷺ: **(لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بني قريظة)** فقام الصحابة كلهم أجمعين ذاهبين إلى بني قريظة استجابة لأمر الرسول ﷺ، لاحظوا كيف كان الجمهور دقيقاً في تبين المراد من الآية، إذاً هذان قولان مشهوران في من المراد بالآية. **وقفة:** حُمِّل الجهاد ما لم يحتمل وقيل فيه ما قيل، فلعلنا نتبين ما قاله المفسرون، فقد أجمع المفسرون على أن هذه الآية دالة على وجوب الجهاد وجوباً كفاً إلا عند الاستنفار العام أو هجوم العدو على الإسلام.

إذاً الجمهور يرون أن الجهاد واجب على الكفاية إذا قام به البعض سقط عن الآخرين، بهذا القيد والقيد عند الاستنفار العام إذا كان المسلمون تعرضوا لهجوم ما، وكان لهم إمام واحد فاستنفرهم الإمام، كما حصل مع الرسول ﷺ في غزوة بني قريظة فيكون واجباً، أو هجم العدو على الإسلام فعندئذ يندفع هذا الهجوم بإعلان الجهاد، وفي واقع الأمر لسنا في هذه العجالة نقف وقفات فقهية مع هذا الموضوع الحساس، ونحيلكم لمن أراد الاستزادة إلى كتب الفقه فإنها مجال البسط. ومعنى قوله: **﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ ﴾** معنى الآية: أيها المؤمنون قد كتب الله عز وجل عليكم الجهاد والقتال فجاهدوا في سبيله دون اعتداء جاهدوا الأعداء الذين يصدون عن نشر الدين الحق، فإذا وقع اعتداء من عدو فحينئذ قاتلوا أولئك الأعداء حتى يكتب لكم النصر أو الشهادة انطلاقاً من قوله تعالى: **﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بَأْيِدِنَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبَّصُونَ ﴾**.

فالمؤمن ينال إحدى الغنيمتين إما النصر أو الشهادة، والجهاد لا شك ليس نزهة، فالجهاد معه وفيه مشقة عظيمة، وجبلت الأنفس على كراهة المشاق، إذ في الجهاد القتل وترك الأهل والأوطان ولكن الله وحده العالم بعواقب الأمور ومصيرها، فإذا على من طلب منه الجهاد بقيود مبسطة في كتب الفقه فيجب عليه أن يتحمل هذه المسؤولية ويعلم حق اليقين أنه يجاهد في سبيل الله عز وجل، فيترتب عليه أن يصبر ويصابر وأن يري الله عز وجل من نفسه خيراً، فالجهاد لا يعني أن هناك إظهاراً للشجاعة والقوة، إذ القوة والشجاعة يجب أن تكونا لله عز وجل حتى لا يخسر المجاهد آخرته بعد أن يخسر دينه، فإذا ما قتل أو أصيب فإن دينه قد تخلفت، فعليه أن يخلص النية ابتغاء وجه الله عز وجل انطلاقاً من قوله تعالى: **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾** فعليه أن يناصح نفسه وأن يخلص.

والإخلاص هو الركن الركين وهو زبدة العمل، ونحن نعلم الحديث الصحيح وفيه أن **(أول من تسعر بهم النار يوم القيامة ثلاثة)**، وذكر منهم المجاهد في سبيل الله، فيؤتى ويسأله الله عز وجل وليس بينه وبينه ترجمان، فيقول له ماذا عملت فيقول يا رب قاتلت في سبيلك و...و... فيقول الله عز وجل كذبت، ولكن قاتلت ليُقَالَ إنك شجاع فقد قيل، إذاً على المجاهد في هذا الوطن العظيم أن يخلص النية لله عز وجل ويقدم غير مدبر، ويحمل على من أراد النيل من المسلمين في ديارهم، فعلى المسلمين كُلٍّ بحسبه أن يجاهدوا ولكن أيضاً وفق ضوابط الشريعة، لا ليجتهد واحد من هنا وواحد من هناك، بل لا بد على الجميع أن تكون لهم مرجعية فيتشاورون ويقفون عندها، وعندها بإذن الله تعالى يكون العمل مثمراً، والله عز وجل هو الذي يعلم الأمور كلها، فلسنا نحن من يعلم الأمور، نسأل الله أن ينصر دينه ويعلي كلمته، وصلى الله على نبينا محمد.